● **قَالَ المُصَنِّفُ :** " **وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ : (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** " .

الشَّرْحُ :

● **قَوْلُهُ : (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ)** : والإيمان بالله تعالى يتضمنُ أربعَةَ أمورٍ [1] :

١ – الإيمان بوجودِهِ سبحانه وَتَعَالَى .

٢ – الإيمان بربوبيتهِ ؛ أي : الانفراد بالرُّبُوبِيَّةِ .

٣ – الإيمان بانفرادِهِ بالألوهيةِ .

٤ – الإيمان بأسمائِهِ وصفاتِهِ .

● **أولاً: الإِيْمَانُ بِوجُودِ اللهِ :**

حتى تؤمنَ باللهِ ؛ فلابُدَّ – أولاً – : أن تؤمن بوجُودِهِ ، والإيمانُ بوجودهِ فطرةٌ في الإنْسَانِ ، ومتى أنكر وجودَهُ ؛ فاعلم أنه منتكِسُ الفطرةِ .

● قال – تَعَالَى – : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

● **وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ »** (١) .

والفطرة التي فَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا عبادَهُ هِي التَّوْحِيْدُ ، وأَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هو ؛ فكلُّ إنسانٍ يَعْلَمُ بِدَاخله أن الذي خلقه هو الله وحدَهُ ، وأنه إلهٌ واحدٌ .

---

(١) " شرح العقيدة الواسطية " – للشيخ ابن عثيمين – (ص :٥٥).

(١) أخرجه البخاريُّ (١٣٥٨) ، ومُسْلِمٌ (٢٦٥٨) .

● ثانيًا : الإيمانُ بربوبيتِهِ :

أي : أنه سبحانه وتعالى واحِدٌ لا شريك له ، ولا مُعِيْنَ له ، ولا نَظِيْرَ له ، ولا نِدَّ له .

فتوْحِيْدُ الرُّبُوبِيَّةِ : هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

والدليلُ : قَوْلُهُ – تعَالَى – : ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الجاثية:٢٧].

وقال – **تعَالَى** – : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقال – **تعَالَى** – : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزخرف:٩] .

لقد كان مُشْرِكُو العَرَبِ يَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِ اللهِ ، ولكنهم اتخذوا الآلهة وسائطَ بيْنَهُم وبَيْنَ اللهِ ؛ كَمَا يَحْدُثُ (الآن) من عُبَّادِ القُبُورِ !

● وقولُهُ – **تَعَالَى** – : ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ﴾ [الأعراف:٥٤] :

وجهُ الدَّلالة فِي هَذِهِ الآيَةِ : أنَّ تَقْدِيم ما حقُّهُ التأخير يفيد الحصر ؛ فهُنَا قدَّم الخبر (له) ، والمفترضُ أنْ يأتي متأخرًا بعد المبتدأ ؛ فهذا التقديم له دلالةٌ بلاغيَّةٌ ، وهي إفادةُ الحصْرِ ؛ فقولُهُ – تَعَالَى – : ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ﴾ ؛ أي : أن الخَلْقَ ؛ لله – تَعَالَى – ؛ فهو – وحده – الذي خلق كل شيءٍ .

فكان من المفترض أن يأتي (الأَمْرَ) أولاً ، ثم (الخَلْق) ؛ فيأمر أولاً ، ثم يخلق ، ولكن لما قدَّم مَا حَقُّهُ التأخير أفاد الحصر ؛ أي : أن كلَّ مخلوقٍ في الكونِ خَلَقَهُ اللهُ .

● واللام في قَوْلِهِ : ﴿ **أَلَا لَهُ** ﴾ للاستحقاقِ والأَمْرِ ؛ فكلُّ ما في الكون من عند الله سبحانه وتعالى ؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يخلق ذبابةً ، أو بعوضةً ، أو نملةً .

وفرعوْنُ لَمَّا قَالَ : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾ **[النازعات : ٢٤]** ؛ فقد تجبَّر وتجرَّأَ على ربِّ العالمين

بقولِهِ هذا !! ورَغْمَ قَوْلِهِ ؛ إلاَّ أنه يعلَمُ – بداخلِهِ – أنه ليس بربٍّ ، وكذلك لما قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ [القصص:٣٨] ؛ فهو قال ذلك باللسان ، ولكن من داخلِهِ يعلَمُ أن هذا قولٌ باطلٌ ؛ بدليلِ قولِهِ تعالى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [النمل:١٤] ، وقولِهِ : ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الإسراء:١٠٢] ؛ فهو كَانَ يَقُولُ : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ [النازعات : ٢٤] ، و ﴿ **يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾ إلى آخره من أقواله الباطلة التي قالها ، والتي حاول أن يقنع مَنْ حوله بها ، ولكن هو في قرارة نفسِهِ يعْلَم أنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ ، ولكنه قال ذلك ؛ لكي يستعبدَهُم ، ويكونوا طوْعًا له ، ويأخذَ أموالهم وثرواتهم !!

• فالنَّفْسُ فِيْهَا شهوةُ منازعةِ اللهِ في ربوبيتهِ :

نعم ؛ هناك كثيرٌ عندهم هذه النفسُ الخبيثَةُ التي تميل إلى منازعة الله في ربوبيتِهِ ؛ فترى رجلاً دكتاتوريًّا في بيتِهِ !! يأمُرُ ويَنْهَى ، وشعارُهُ : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ ؛ فلا يريد أن يخالفَهُ أو يعارضَهُ أحدٌ ، وكذلك بعضُ النساءِ ترى عندهنَّ جبروتًا ، وتسلُّطًا على أزواجهنَّ وأولادهنَّ !!

فسبحَانَهُ هو المنفردُ بالأمرِ والنهي ؛ فهو الربُّ الخالقُ البارئُ المصوّرُ ؛ فهو مَنْ خَلَقنا ورزقنا ، وأوْجَدَنا في هذه الدنيا من عدمٍ ؛ ثم نموتُ ، ثُمَّ يَبْعَثُنَا ، وهذه أمُورٌ لا شك فيها ، ولكن بعض السفهاءِ يَظْهَرُون علينا هذه الأيام ، وينكرون وجود الله ، وكل هذا ؛ نتيجةَ انتكاسِ الفطرةِ ، والبعدِ عن دين الله ؛ كما ذكرنا ذلك من قبل.

• ثالثًا : الإيمانُ بانفرادِهِ بالألوهيَّةِ :

وهو عبادةُ اللهِ وحْدَهُ لا شريك له ، ونفيُ العبادةِ عَمَّن سواه ؛ كائنًا ما كان .

▪ **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ – في معنى الإله –** : " فإنَّ الإلَهَ هو الذى تألهُهُ القلوبُ : محبةً ، وإنابةً ، وإجلالاً ، وإكرامًا ، وتعظيمًا ، وذلاًّ ، وخضوعًا ، وخوفًا ، ورجاءً ، وتوكلاً " (١) .

وإذا ضعُفَتْ عبودِيَّاتُ القلوب في قلْبِ العبد ؛ من خشية وخوف ورجاء وإنابة وتوكلٍ ، أو عبوديات الجوارح ؛ من صومٍ وصلاةٍ وذِكْرٍ ؛ ضعُفَ توحيدُ الألوهيَّةِ في قلْبِهِ .

والتوحيد الذي أُرسل من أجله الرسل ، وأُنزلت الكتب هو توحيد الألوهية ؛ قال – تَعَالَى-: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل:٣٦]، وقال – تَعَالَى -: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٢٥].

والإيمانُ بألوهيتِهِ : أن تعبده كما أمرك ؛ فتحقق الخوف والرجاء والمحبة ؛ فلا تتوسل إلا به ، ولا تسأل غيرَهُ ، ولا تخاف إلا منْهُ .

فَمُشْرِكُو العَرَبِ صَرَفُوا تَوْحِيْدَ الأُلُوهِيَّةِ لأَصْنَامِهِمْ ؛ فكانوا يطْلُبُون منهم حوائجهم ، ويدعونهم ؛ فأشركهم مع الله ؛ فكَفَرُوا وضَلُّوا وأضلُّوا.

● **فتوحيد الألوهية** : أن يكون الحبُّ ، والتعظيمُ ، والإخباتُ ، والإنابةُ ، والخشيةُ ، واليقينُ ، والتوكلُ ، وكل هذه العبوديات ؛ للهِ الواحِدِ الأحدِ ، وإذا حدث خللٌ في هذه العبوديات ؛ فإما أنك لم تحققها جملةً ، أو أنك تحقق بعضها ، وتترك بعضها ؛ فمن ثَمَّ كانَ عندك خللٌ في هذا النوعِ من التوحيد .

● **فليسَ لك مَعْبُودٌ غَيْرَ اللهِ :**

أي : لا تلجأ إلا له ، ولا تتوكل إلا عليه ، ولا تخاف إلا منه ، ولا تخشى ولا تُعظِّم إلا هو ، وليس المقصودُ بالتعظيم : التعظيمَ الذي يُرَادُ به الأدب ، ولكِنَّ المقصودَ : التعظيمُ الذي يصل بالإنسان إلى

---

(١) " **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** " (٢٧/١) .

أن يخاف من مخلوقٍ مثلِهِ ؛ فهناك فرقٌ بين الأدبِ وبَيْنَ أن أُعظِّم أحدًا تعظيمًا لا يكون إلا لله ؛ فتعظيْمُ المخلوقِ بهذه الطريقَةِ لا يجوز ، ولكن هناك أدبٌ واحترامٌ للكِبِيْرِ ؛ لقول رسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا** » [1] .

فكلُّ هذه العبودياتِ لا تَكُونُ إلا لله – وَحْدَهُ – ، وبهذا تكون قد حققت توحيد الألوهية التي جاءت به الرسل .

● وأما تَوْحِيْدُ الرُّبُوبِيَّةِ :

فكان عند مشركي العَرَبِ – كَمَا ذَكَرْنَا مِرَارًا – ؛ بل وكان عند الشيطان – أيضًا – ؛ فقد قال : ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ص:٨٢] ، و : ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الحجر : ٣٦] ؛ فهو يَعْلَمُ أنَّ الله ربٌّ ؛ لكنَّهُ أخلَّ بتوحيد الألوهية ؛ لأنه رفض السجود لآدم لما أمره الله قال : ﴿ **خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [الأعراف:١٢] ؛ فهو عَبَدَ الله على مدار سنوات طويلة ، وكان يعلم أنَّ الله واحِدٌ ، وأيضًا يعلَمُ صفاتِ اللهِ ؛ فقد قال : ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ** ﴾ ؛ فسأل الله بعزتِهِ ؛ فعلم أنه له العزة ، وله الصفات ، ولكنه وقع في عدم الانقياد لأوامر الله ، وعدم الطاعة ؛ فلَمْ يُوَحِّد تَوْحِيْدَ العِبَادَةِ – وهي : الألوهية – ؛ فَطُرِدَ من رحمةِ اللهِ ، وأصبحَ من الخاسرين .

● فالتوحيدُ لَيْسَ مجرَّدَ قولٍ :

فالنَّاسُ تَسْتَهِيْنُ بهذا القسْمِ من أقسام التوحيد ، فتراهم يقولون : مجرد قول : لا إله إلا الله ، نكونُ موحدين !! وهو ليس كذلك ؛ فقد أجمع العلماء أنَّ أيَّ إنسان يترك أمْرًا من أوامر الله جحودًا ، وإعراضًا : كَفَر وخَرَجَ من الملة ؛ لأن الإعراض كفرٌ .

---

[1] أخرجه البخاريُّ في " الأدب المفرد " (٣٥٨) ، وأحمد (٢ / ٢٠٧) عن عبد الله بن عمرو ، ورواه الترمذيُّ (١٩١٩) عن أنسٍ ، وهو في " الصَّحِيْحَةِ " (٢١٩٦) ، و " صحيح الترمذي " (١٩١٩) ، و " صحيحِ الجامع " (٥٤٤٥) .

لكن يمكن أن يترك الشخصُ الأمر بضعفٍ منه ؛ كأن تقول امرأة – مثلاً – : أنا لا أستطيع أن أرتدي الحجاب ، ولكن ؛ إن شاء اللهُ ؛ يهديني ربِّي ، وأرتديْهِ ؛ فهي مقرَّةٌ بهِ ، وإن كانت مقصرةً في التطبيقِ ، ولكن إذا أعرضتْ وأنكرتْ – بعد أن أقيمت عليها الحجة – خرجت من الملة ؛ لأنها رفضت الانقياد لأوامر الله ؛ إنكارًا وجحودًا ؛ كما فعل إبليس !!

● فما أحوجَ العِبَاد لعبودياتِ القلوبِ وعبودياتِ الجوارحِ :

فعبودِيَّاتُ القلوبِ – كما ذكرنا – ؛ كالحب والخشية والرجاء والخوف وغيرها ، وعبوديات الجوارح ؛ كالصلاة والصيام والذكر والاستغفار وتلاوة القرآن ؛ فما أحوج العبد لهذا وذاك ، ومن المحال أن تستقيم عبوديات القلب بدون عبوديات الجوارح ، ولن تنفعك عبوديات الجارحة بدون عبوديات القلب ؛ فلن تستطيع تحصيل الإخبات والإنابة والخشية والخوف واليقين ؛ إلا بعد عبوديات الجوارح ؛ فحتَّى تصل إلى حقيقة التوكل والخشية والإنابة ؛ لابد أن تكون صلَّيْتَ وصُمْتَ ، وأكثرتَ من ذكر الله ، والتزمت بأوامره .

فيبدأ القلب يتعبَّدُ إلى الله ، وتحصُل عبوديات القلوب ؛ من الإخبات والإنابة والخشية والخوف والرجاء والتعظيم وغير ذلك .

● الاجتهادُ في الطاعة ؛ فيه صلاح القلوب :

لأن الطاعات تُصْلِحُ القلوب ؛ لَوْ حَصَلَتْ بحضور قَلْبٍ ، أي : إذا اجتهدت أن تصلِّي بحضُورِ قَلْبٍ ، أو عند الذِّكْرِ ؛ تَتَفَكَّرَ في معانيه ، أو عند تلاوة القرآن تَتَدَبَّرَ ؛ فَهَذَا من أنفع الأدوية لصلاح القلوب ؛ كذلك الصيام ؛ تصوم ، وتحتسب هذا عند الله ؛ فكلُّ هذه الأعمال التي تعملها سَبَبٌ في صلاح القلوب .

فعبودياتُ القلوبِ تتحقَّق بكثرة عبوديات الجوارح مع الدعاء واليقين والإقبال على الله بِصِدْقٍ وإخلاصٍ ، وليس معنى أن يُصَلِّي العبدُ (**بجوارحِهِ**) بِغَيْرِ خشوعٍ ، أو أن يَذْكُرَ الله (**بلسانِهِ**) بِغَيْرِ فَهْمٍ للمعاني !! أنَّه قد حُرِمَ الأجرَ مِنَ اللهِ على ذلكَ !! كلاَّ ؛ فهو وإن لم (**يحقِّق**) العَمَلَ الصالحَ على الوَجْهِ (**الأكملِ**) ؛ لكنه سوف يأخذ أجرًا على قيامهِ بالعَمَلِ إنْ شَاءَ اللهُ ؛ لأنَّ اللهَ كريمٌ ؛ فإذا قلت : سبحانَ اللهِ العظيم وبحمده ؛ غُرست لك نخلة في الجنة ([1]) ، ولكِنَّ (**القَلْبَ**) لن يَنْصَلِحَ ؛ إلاَّ إذا حَضَرَ أَثْنَاءَ هذه العبادات .

- **فتوحيْدُ الربوبيةِ** : هو أنَّ الله لا شريك له ، ولا نِدَّ له ، ولا خالق معه ، ولا مالك إلا هو .

- **وأما توحيْدُ الألوهيةِ** : هو توحيدُ العبادة ؛ أي : أن العبادة لا تُصرف إلا لله الواحد الأحد ؛ فلا أعبد أحدًا غيره ، ولا أذبح لغيره ، ولا أدعو غيره ، ولا أصلي ولا أسجد ولا أصوم إلا له ، ولا أنذر للسيدَةِ ، ولا للحسين ، ولا للبدويّ ، ولا لغيرهم ؛ فكلُّ هذا لا يجوز إلا لله الواحد الأحد .

- **مَنِ ادَّعى أن له شيئًا من خصائصِ الألوهية ؛ فقد كَفَرَ :**

فمن خصائص ألوهيته وربوبيته : أن لا يعبد إلا هو ، ولا يعلم أحدٌ الغيب إلا هو ، ولا أحد يشاركه في ملكه ؛ فلو أتى أحَدٌ اليوم ، وقال لك : أنا أعلم الغيب ؛ فالله سبحانه وتعالى لم يُطْلِعْ أحدًا على الغيب ؛ إلا من ارتضى من رسولٍ ؛ فبعْضُ الرُّسُلِ كان يُطْلِعُهم ربُّهم عَلَى أشْيَاءَ ، ولكن لأَنْ يقول أحدٌ : أنا أعلم الغيب ؛ فهذا كُفْرٌ بواحٌ ؛ فأيُّ أحدٍ يقول ذلك ؛ فقد خَرَجَ من المِلَّةِ ؛ لأنه لا يعلَمُ الغيبَ إلا الله ؛ قال – تَعَالَى –: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**

([1]) روى الترمذيُّ (٣٤٦٤) ، والنسائيُّ في " الكبرى " (**١٠٦٦٣**) ، وابن حبان (**٨٢٦**) **عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ "** . وهو في " الصحيحةِ " (٦٤) .

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

● **الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته :**

أي : نثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الصحيحة من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به ، وننفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه ، وما نفاه عنه نبيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إذا أثبت الله لنفسه صفةً ؛ فيجب أن نثبتها له ، وإذا نفى عن نفسه صفة ننفيها عنه ، وكذلك إذا أثبت له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفة في حديثٍ سندُهُ صحيحٌ ليس به ضعف أو علة ؛ فنحنُ نُثبتها لله ؛ كالإصبع جاء في السنة ، ولم يأتِ في القرآن ؛ فلابد أن نثبته لله ، أو إثبات الضحك لله ؛ فقد جاء – أيضًا – في السنة ؛ فهناك بعضُ الصفاتِ لم تَأْتِ في كتابِ اللهِ ، ولكن أَتَتْ في السُّنَّةِ ، وما دامت جاءت في السُّنَّةِ ، وصحَّت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلابد أن نثبتها له جلَّ في علاه.

● **ولا نُثْبِتُ ، ولا نَنْفِي صفةً لله ؛ إلا بدليلٍ من الكتاب والسنة :**

وصف الله سبحانه وتعالى نفْسَهُ أنه : سميعٌ عليمٌ بصيرٌ ؛ إِذَنْ هو يَسمع ويَعْلَمُ ويُبصر ؛ لأنه أثبت لنفسه ذلك ، وكذلك وصف نفسه أنه : حكيمٌ رحيمٌ رحمنٌ واحِدٌ أحدٌ خالقٌ بارئٌ مصوّرٌ ؛ فكلُّ هذه الصفات أثبتها لنفسِهِ ؛ فلابُدَّ أن نُثْبِتَهَا له ، وما نَفَاه عن نفسه نَنْفِيه عنه ؛ فلا أُثبت ، ولا أنفي إلا بدليلٍ من الكتابِ والسنةِ .

وكذلك ؛ نَفَى الله عن نفسه الظلم ، والسِّنَةَ ، والنوم ، والولد ، والصاحبة ؛ فلا يصح أن نثبتها له ؛ قال – تَعَالَى –: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا**

أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص:١-٤] ؛ فأثبت لنفسه أنه واحِدٌ أحَدٌ ؛ فلا يصح أن أقول : له صاحبة ، أو أن المسيح ابْنُ الله ؛ فهذا كُفْرٌ ما أنزل الله به من سلطان.

● **قَوْلُهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ؛ فيه ردٌّ على المُشَبِّهَةِ :**

فاللهُ سبْحَانَهُ وتَعالَى قَالَ عَنْ نَفْسِهِ : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١] ؛ فالآية فيها (نَفْيٌ وإِثْبَاتٌ) ؛ فنفَى المِثْلِيَّةَ ؛ أي : أن يكونَ لَهُ مَثِيلٌ أو نِدٌّ أو نظيْرٌ ، وهذا رَدٌّ على المشبهة الذين شبهوا صفاتِ الله بصفات خلقِهِ .

والمُشَبِّهَةُ : هم الذين يُثْبِتُون صِفَاتِ اللهِ ، ولكنَّهُم يُشَبِّهُونَهُ بخلقه ، ويجْعَلُونه كَأَنَّهُ إِنْسَانٌ – نَعُوذُ باللهِ من هذا الضَّلالِ – ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً** ﴾ [الإسراء:٤٣] ؛ فهم يُثْبِتُون الصفة ، ولكن يكيفونها ؛ أي : يجعلون كيفيتها ككيفية صفات المخلوق ؛ فَيْقُولُونَ : اللهُ لَهُ عَيْنٌ ، ولكن يشبهونها بعين المخلوق ، وكذلك (السَّمْعُ) وغيرها من الصِّفَات ؛ فأثْبَتُوا الصِّفَات لله ، ولكن على وجهٍ لا يليْقُ بجلالهِ ، نعم هو : سميع وعليم ، ولكِنْ : سمْعُهُ غَيْرُ سَمْعِ المخلوق ، وعِلْمُهُ غَيْرُ عِلْمِ المخْلُوق ؛ فقوله : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ؛ فيه : (**نَفْيُ**) المثل ، و(**إثبات**) الصفات ؛ فانتَبِهْ ؟

● **الاشتِرَاكُ بَيْنَ صِفَاتِ اللهِ وَصِفَاتِ المَخْلُوقِ فِي (المُسَمَّى) – فقَطْ – :**

ليس هناك مشابَهَةٌ بين صفاتِ اللهِ ، وصِفَاتِ المخلوق ، ولا مُقَارَبَة ، ولا هُنَاكَ أَيُّ وَجْهٍ للمُقَارَنَةِ ؛ إِنَّمَا هُوَ فَقَطْ : اشتراكٌ في المسمَّى ؛ أي : في الاسْمِ فَقَطْ ؛ فَيُقَالُ : اللهُ يَسْمَعُ ، والمَخْلُوق يَسْمَعُ ، فالاشتراك في الاسْمِ – فقط – ، مِثْل : ثمارُ الجَنَّةِ ؛ قَالَ – تَعَالَى –: ﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾ [البقرة:٢٥] ؛ فالعِنْبُ في الجَنَّةِ ، ليس كالعِنَبِ في الدُّنْيا ؛ فالاشتراك – فَقَطْ – في الأسْمِ ؛ فثَمَارُ الجَنَّةِ ، وطعام الجنة مستحيلٌ أن يكون مشابهًا لما في الدُّنيَا ؛ بِدَلِيْلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما

كان يُصَلِّي صلاة الخُسُوف قَالَ : " **إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا ، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا** " ([1]) ؛ فَنَحْنُ عِنْدَنَا عِنَبٌ ، ولكِنْ غَيْرُ عِنَبِ الجنةِ ، وهذا مخلوقٌ ، وهذا مخلوقٌ ؛ فما بالكَ بِالفَرْقِ بين صفاتِ المخْلُوق وصفاتِ الخَالِقِ ؟! فعِنَبُ الجَنَّةِ من خلقِ اللهِ ، وعِنَبُ الدنيا من خلقِ الله ؛ فالله خَلَقَ هذا وذاك ، ولكنْ ثِمَارُ الجَنَّةِ ؛ العُنْقُود الواحدُ منها يأكلُ منه أهل الدنيا كلها ، ولكنْ عنقودُ الدنيا غير ذلك ؛ فهل هناك وَجْهُ تَشَابُهٍ ؟ كلاَّ ، ولا في الطعم ، ولا في الرائحة ، ولا في أي شيء ، وإن كانَ المسمَّى واحدًا ، ولكن اختلفت الصفات ؛ فلا يَعْلَمُها إلاَّ رَبُّ العالمين ؛ فكيف باختلافِ الصفةِ بين المخلوق وبين الخالق ؟ فلا يَعْلَمُهُ إلاَّ الله ؛ فَلَيْسَ مَعْنَى أنَّ الله سبحانه وتعالى سمَّى نفسَهُ بأسماء ، وأثبتَ لِنفْسِهِ صفاتٍ اشترَكَ فيها مع المخْلُوقِ – في المسَمَّى فقط – أن يكون هناك تماثلٌ – أو تشابُهٌ من كلِّ وجهٍ – ؛ فحَاشَا لله .

- **فَقَوْلُهُ :** ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشُّورى : ١١] ؛ فهذا نفيُ المماثلةِ ونفيُ المثلِ والندِّ والشبيهِ .

- **وَقَوْلُهُ – في ختامِ الآيةِ – :** ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ **: إثباتٌ لصفاتِهِ ، وردٌّ على المعطلةِ :**

المُعَطِّلَة : أرادوا أن يُنَزِّهُوا الله ؛ فوقَعُوا في التَّعطِيلِ !! قالوا : إذا قُلْتُم لَنَا : إنَّ اللهَ يَسْمَعُ ويَرَى ؛ فأَنْتُمْ بِذَلِكَ شَبَّهْتُمُوهُ بالمخْلُوقِ ؛ فأرادوا أن يَنْفُوا عن الله التشبيهِ ؛ فوقَعُوا في تعطيلِ الصفَةِ ؛ فتعطيلُ الصفةِ ؛ أي : تفريغُ الصِّفَةِ عن مقتضَاهَا ؛ فَجَعَلُوا اللهَ بِلا صِفَاتٍ ؛ فَهَلْ يَنْفَعُ أن يَعِيْشَ المخلوق بلا صفاتٍ ؛ فأنا عندما أصِفُ إنسانًا ، أقول – مثلاً –: هو طويلٌ عريضُ المنكبين ؛ فإذا كان المخلوقُ له صفاتٌ ؛ فهل يَصِحُّ أن يكون ربُّ العالمين بلا صفاتٍ ؟!

فهؤلاء الضُّلال صوَّرتْ لهم عقولهم أنهم إذا أثبتوا الصفة ؛ فبذلك يكونون قد أثبتوا كيفيَّةً لها ، وكيفيتها تكون مثل كيفية المخلوق ، وعلى ذلك زعموا أنهم قد وقعوا في التشبيه !! فأرادوا أن يبتعدوا عن هذا ؛

([1]) أخرجه البخاريُّ (١٠٢٥) ، ومُسْلِمٌ (٩٠٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ .

فوقعوا في التعطيل ، ونَفَوْا صفات الله ، وجعلوهُ إلهًا بلا صفات ؛ أي : جَعَلُوه عدمًا ؛ فعبدوا عدمًا ؛ لأن الإلَهَ له صفاتٌ ، وله أسماءٌ ؛ فضلاً عن أنهم كذَّبوا ما جاء في القرآن ؛ لأن الله سمَّى نفسَهُ بأسماء، وأخبر أن له صفات في القرآن ، والقرآنُ كلامُهُ ، وقال فيه : إنه سميعٌ ، وعليمٌ ، وبصيرٌ ، وحكيمٌ ، ورحمنٌ ، ورحيمٌ ، وعزيزٌ ذو انتقامٍ ، وكبيرٌ ، ومتعالٌ ؛ فكلُّ هذه صفاتٌ – له – ذُكرت في القرآنِ .

▪ ويَسْتَلْزِمُ من كلامِ المُعَطِّلَةِ والمُشَبِّهَةِ :

١ – أنَّ القرآنَ فِيْهِ تَناقُضٌ – نَعُوذُ باللهِ مِنَ هذا الضلال–:

لأن الله أثبت لنفسه صفاتٍ ، وهم يقولون : إنه ليس له صفاتٌ ؛ فهم بذلك كذبوا القرآن ، وإن كان نفيُ الصفات من باب الاجتهاد والتأويل !! فعليكم أن ترجعوا إلى كلام السلف في هذه المسالة ولا تخالفوهم .

٢ – أنه لا يَلْزَمُ من اتِّفَاقِ الشيئين في اسمٍ أو صِفَةٍ أن يكونَ بَيْنَهُمَا تَمَاثُلٌ :

فَحَتَّى على مستوى المخلوق هل هناك اثنان – اسمهما واحدٌ – ؛ يشبه أحدهما الآخر في الصفات رغم اتفاق الاسم ؟ **والجواب** : لا ، وهذا في حقِّ المخلوقِ ؛ فهناكَ اختلافٌ في الطِّبَاعِ والأخلاقِ ، وفي كل شيءٍ ، والاثْنَانِ يَحْمَلانِ نَفْسَ الاسْمِ ، وهذا مَخْلُوقٌ ، وهذا مَخْلُوقٌ ؛ فكَيْفَ بِرَبِّ العالمين ؛ فَلاَ وَجْهَ ، ولا دلِيْلَ على أن اشتراكَ الاسمِ يعني اشتراكَ الصفةِ .

إذا عَلِمَ العبدُ ربَّهُ بأسمائه وصفاته ، وعَلِمَ عظمتَهُ ؛ سَوْفَ يُثْمِرُ في قلبه أمورًا ولابُدَّ ، ويكون سببًا في صلاح قلبه ؛ لأنه لو صحَّ توحيدُهُ صَحَّتْ أعمالُهُ ، ولو صَحَّتْ أعمالُهُ انْصَلَحَ قَلْبُهُ ؛ فسلامَةُ التوحيد تؤدي إلى سلامةِ الأعمال والعبادات ، وسلامةِ العبادات تؤدي إلى سلامة القلوب ولابُدَّ .

● فالإنْسَانُ الذِي يُؤْمِنُ بأسماءِ اللهِ وصفاتهِ سَيُحَقِّقُ ثِمَارًا جَلِيْلَةً ؛ منها :

١ – أنَّ خوفَهُ ورجاءَهُ وعبادَتَهُ بكلِّ أنواعها ؛ ستكون لله – وحْدَهُ – لا شريك له ؛ فكما ذكرنا أن العبادة لها أنواعٌ كثيرةٌ ، منها : قسْمٌ متعلقٌ بالقلب ، وقسْمٌ متعلِّقٌ بالجارحة .

٢ – **وأيضًا** : على قَدْرِ معرفةِ العبدِ بأسماءِ الله وصفاتِهِ ؛ على قَدْرِ محبتِهِ له ، لو أحَبَّ الإنسانُ ربَّهُ وعظَّمَهُ ؛ فهذا سيكُونُ بمقتضى تحقيقِهِ وفهمِهِ لأسماء الله الحسنى وصفاتِهِ والعُلَى ؛ فعلى قَدْرِ معرفتك بأسماء الله وصفاته ؛ على قَدْرِ إِقْبَالِكَ وحُبِّكَ له ؛ لذلك أكثر الناس تعظيمًا ومحبةً وعملاً بما علموا هم أكثرهم فهمًا عن الله ، وكان على رأسهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فهو أكثر الناس عبادةً وخشيةً ، وتحقيقًا للتوحيد ؛ لأنه أعلمهم بالله ؛ فكلما زادَ علم العبد بالله ؛ حقق التوحيد على الوجه الأكمل ، وكُلَّمَا ضَعُفَ العِلْمُ باللهِ ؛ كان التوحيد فيه ضعفٌ وخللٌ ، وقد يكون مسلمًا بالاسم – فقط – !!

٣ – **وأيضًا** : العَبْدُ الذي يفعل ما أمر الله به ، ويجتنب ما نَهَى عنه ، على قَدْرِ فَهْمِهِ للأسماء والصفات ، ومعرفتِهِ بالله ؛ على قَدْرِ تحقيق العبودية لله على الوجْهِ الأَكْمَلِ .

فالمرحلة الأولى سينفِّذُ الأمر ؛ أي : يفعل أعمال الجوارح الظاهرة ؛ فيصلِّي ، ويصُومُ ، ونحو ذلك ، ولكنه قد لا يفهم جيِّدًا هذه العبادات ، ولكِنَّهُ إذا فَهِم أسماءَ الله وصفاتِهِ ، وعلم معنى : الحكيم ، والعليم ، والعزيز ، والجبار ، والمتكبر ، وغير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى = سوف يحقق العبودية على وجه مختلفٍ عَمَّا كان عليه .

كانَ شَيْخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ – في نهايَةِ حَيَاتِهِ – يقول : **إِنِّي إِلَى الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي** ([1]) . فَهُوَ – رَحِمَهُ الله – يرى أنه إلى الآن لم يحقق العبودية على الوجْهِ الأَكْمَلِ للهِ .

بل ؛ وَلَقَدْ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ فَقَالَ : « **أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** » ([2]) .

([1]) **قال العلامة ابن القيم في " المدارج " (٥٢٠/١) : " وَكَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي إِلَى الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا ".**

([2]) **أخرجه البخاريُّ (٤٨٣٦) .**

فهو يشعر أنه لم يشْكُرْ ، وهو رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن أجل ذلك يقف بين يدي ربهِ يصلي إلى أن تتوَّرَمَ قَدَمَاهُ ؛ حتى كادت أن ينزِلَ منها الدَّمُ ، وإذا سُئل عن ذلك ؛ قال : « **أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** » ؛ فهو يرى أنه لم يفعل شيئًا ، ويرى أنه لم يحقق العبودية لله ؛ فهو يريد أكثر من ذلك ، ويرى أنه مقصِّرٌ مع جلالة قدرهِ ، ومنزلته عند ربِّهِ ؛ لأنه فَهِمَ عن الله ؛ لذلك أقول : إن أهمَّ شيءٍ أن تفهم عن الله ، ولو لم تفهم عن الله ؛ ستظل تعيشُ كَعَوامِّ المسلمين يسيرون بأمراض قلوبٍ ، وآفاتِ لسانٍ ، والاسْمُ أنهم يصلون ! ومنهم من يُطيل لحيتَهُ ، ولا يَعْلَمُون أي شيء !!

▪ **قَالَ المُصَنِّفُ : (وَمَلائِكَتِهِ) :**

الشَّرْحُ : الإيمان بالملائكةِ هو الركن الثاني من أركان الإيمان .

● **والمَلائِكَةُ** : عالمٌ غيبيٌّ ، وهم مخلوقون ، عابدون لله – تعالى – ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيءٌ ، خلقهم الله تعالى من نورٍ ، ومنحهم الانقياد التام لأمرِهِ ، والقوة على تنفيذِهِ ؛ قال الله – تعالى – : ﴿ **وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٩–٢٠] ، وهم عددٌ كثيرٌ لا يُحْصِيْهِمْ إلاَّ اللهُ – تَعَالَى – ، وقد ثَبَتَ في " **الصَّحِيْحَيْنِ** " (١) من حديثِ **مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** – في قصة المعراج – أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ : هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ** " (٢) .

فسبعون ألف ملك يدخلون إلى البيت المعمور ، ولا يرجعون إلى أن تقوم الساعة ؛ فانظر كم عددهم منذُ خلق الله السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ [المدثر: ٣١] .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٢٠٧) ، ومسلِمٌ (١٦٤) .

(٢) انظر : " شرح الأصول الثلاثة " للعثيمين (ص:٥٦).

فهذه المعاني لما بَعُدَ عنها العباد ولم يقرءوها ولا يتدبروها عند قراءة القرآن ؛ فإذا مَرُّوا بآيةٍ فيها ذِكْرُ الملائكة لم يقفُوا ، ولم يستَشْعِرُوا عظمة الملائكة وعدَدَهُم ؛ فهذا العالَمُ العجيبُ كفيلٌ أن يجعل الإيمان يزْدَادُ في القلب .

فالله سبحانه وتعالى خلقهم من نور ؛ قال - تَعَالَى -: ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم:٦] ؛ فهم مخلوقون للعبادة ؛ فليس عندهم معصيَةٌ أو شهوةٌ ؛ فخلقهم الله لعبادته وتوحيده وتمجيده ، وهم ﴿ **لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ [الأنبياءُ : ١٩] ؛ أي : لا يَتْعَبُون ، ولا يملُّون ؛ فَهُم في عبادةٍ ؛ منذ أن خلقهم الله سبحانه وتعالى إلى أن تقوم الساعة ، وعددهم لا يعلمه إلا الله .

وأفضلهم : **جبريلُ** ، وهو الموكَّلُ بالوَحْي ، **وميكائيلُ** : الموكَّلُ بالمطر ، **وإسرافيل** : الموكَّلُ بالنَّفْخِ في الصُّوْرِ ، **ومالكٌ** : خَازِنُ النار ، وغيرهم ؛ فكلُّ مَلَكٍ له وظيفةٌ يقوم بها .

- **الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمورٍ** [(١)] :

الأولُ : الإيمان بوجودهم : فأول شيء أن تؤمن بوجودِ الملائكة ؛ بدليل الكتاب والسنة.

الثاني : الإيمان بمن عَلِمْنَا اسْمَهُ منهم باسمه (كجبريل) ، ومن لم نعلم اسمه ؛ نؤمن بهم إجمالاً.

فالله سبحانه وتعالى أعلمنا بأسماء بعضهم ؛ كمن سبق ذكرهم ، وهناك - أيضًا - ملائكةٌ لا نعلم أسماءهم ، ونحن غير مكلَّفِين بذلك ؛ فلا نطلق عليهم أسماء من عندنا ؛ مثل ملك الموت ؛ فقد ذُكر في القرآن بأنه : (مَلَكُ الموتِ) ، ولم يُسَمِّهِ اللهُ - تعالى - ؛ فلا يجوز أن نخترع له اسمًا ، وكما هو مشهورٌ عند العامةِ أنه : عزرائيل !! فمن أين أتينا بهذا ؟ فلم يأتِ هذا الاسمُ في كتابٍ ولا سنَّةٍ ؛ فهذا من الإسرائيليات التي رُويت ووُضعت في بعض كتب المسلمين ، والصَّوابُ أنَّ اسمه : (ملك

---

(١) انظر : " شرح الأصول الثلاثة " للعثيمين (ص:٤٦).

الموت) ؛ قال – تعالى- : ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾ [السجدة : ١١] .

وكما ذكرنا هناك ملائكة كثيرون (جدًّا) ؛ لا نعلم أسماءهم ؛ فنحن غير مكلفين إلا بمعرفة الأسماء التي أعلمنا بها اللهُ .

الثالث : الإيمان بما علمنا من صفاتهم ؛ كصفة جبريل ؛ فقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها ، وله ستمائة جناحٍ قد سَدَّ الأفق ([1]) .

وقد يتحول المَلَك بأمر الله إلى هيئةِ بَشَرٍ ؛ كجبريل عليه السلام ؛ كما في حديث جبريل المشهورِ ؛ فقد ظهر عليهم في صورة رجلٍ .

وكذلك ؛ قال – تعالى -: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾ [مريم:١٧] ؛ فحين أرسَل الله جبريلَ عليه السَّلامِ لمريم تمثَّل لها بشرًا سويًّا ؛ فهو يتمثل في صورة البشر ؛ فهذه قدْرَةٌ أعْطَاهَا اللهُ لَهُ .

الرابع : الإيمانُ بما عَلِمْنَا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى ؛ كتسبيحِهِ – تَعَالَى – ، والتَّعَبُّد له ليلاً ونهارًا بدون مللٍ ولا فتورٍ.

وكذلك ؛ كما سَبَقَ في السبعين ألفَ مَلَكٍ ؛ لا نعلم غيرَ أنهم يطوفون حَوْلَ البيتِ المعْمُور ؛ فهذا الذي أخبرنا به النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وهناك الملائكة الموكلون بمجالس الذكر ؛ كما قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى**

([1]) رواه مسلمٌ (١٧٤) **[٢٨٢]** عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) **[النجم: ١٨]**، قَالَ : « رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ » .

حاجتِكُمْ " قَالَ : « فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ ؟ " قَالَ : " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ : " يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ : " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ : هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » ([1]) .

- **ولو أن درس العلم ليس فيه إلا هذا الفضل ؛ لَكَفَى :**

فلو لم يخرج العبد من مجالس الذكر ؛ إلا أن ربَّ العالمين من فوق سبع سموات في نهاية المجْلِسِ يقول : **قوموا " قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ "** ؛ لكفى بها نعمة .

- **الإيمانُ بالمَلائِكَةِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جليلةً ؛ منها ([2]) :**

الأولى : العلم بعظمة الله تعالى وقوتِهِ وسُلْطَانِهِ ؛ فإن عظمة المخلوق تدلُّ على عظمَةِ الخالق :

([1]) أخرجه البخاريُّ (٦٤٠٨) ، ومسلِمٌ (٢٦٨٩).

([2]) انظر : " شرح الأصول الثلاثة " للعثيمين (ص:٤٧) .

فنحن نذكر أن ملاكًا له ستمائةُ جناحٍ يَسُدُّ الأُفُق ، وأيضًا هناك ملكٌ **مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ : " ما بين شحمة أذنهِ وعاتقهِ مسيرة سبعمائة سنة** " ([1]) ؛ فإذا نظرنا إلى عظمة هذا المخلوق (**المَلَكِ**) ؛ فهذا يدلُّكَ على عظمة الخالق ؛ فإذا كان هذا المخلوق بهذا الشكل ؛ فكيف بالخالق ، وإذا علم الإنسان أن ما بين السماء والأخرى : (**خمسمائة سنة**) ([2]) ؛ مسيرة الطائر السريع ؛ حتى يصل بين السماء والأُخرى ؛ فلو أن طيرًا طيَّرتَهُ من السماء الأولى ؛ فحتَّى يصل إلى السماء الثانية ؛ يحتاج الطريق إلى خمسمائة عام ؛ فهذا أمْرٌ رهيبٌ ، وقلة الكلام في هذه الأمور يجعل القلوب خاوية من الإيمان ، وتحقيقِ التوحيدِ على الوَجْهِ الذي يُرْضِي اللهَ .

إنَّ هذه المعاني أضحتْ مفقودةً غير موجودةٍ ، وأصبحت القلوب ضعيفة (جدًّا) ؛ فإذا أردت أن ترى ضعف الإيمان ؛ ستراه إذا تعاملت على أرض الواقع ؛ فلقد صارت المعاملاتُ قائمةً على الأسبابِ ؛ فالكُلُّ يتعامل مُعْتَمِدًا على الأسباب ، ولا يوجد يقينٌ وثقةٌ في اللهِ عند الكثيرين ؛ لأنهم لم يتعلموا هذه المعاني ، ولذلك ؛ فكتب العقيدة ليست للتسلية ، أو لأخذ المعلومات ، أو لمجرد الدراسة ، ولكنها لضبط الإيمان ، وتحقيق التوحيد على الوجه الأكمل الذي يرضي الله سبحانه وتعالى .

- **الثانية : شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ؛ حيث وكَّل من هؤلاء الملائكة مَن يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم :**

([1]) رواه أبو داود (٤٧٢٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ » . وهو في " صحيح الجامع " (٨٥٤) ، و " الصَّحيحة " (١٥١) .

([2]) ففي " التوحيد " لابن خزيمة (٢٤٢/١) ، والطبرانيُّ في " الكبير" (٨٩٨٧) ، والبيهقيُّ في " الأسماء والصفاتِ " (٨٥٢) بسندٍ حسنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى أُخْرَى مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَى الْمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ .

فالشيء الثاني الذي نُحصِّله من الإيمان بالملائكة – بعد العلم بعظمة الله سبحانه وتعالى – : أن نشكر الله أنه وكَّلَ لنا ملائكةً تحفَظُنا ؛ فهناك : (**المعقِّبَاتُ**) ، و (**الذين يكتبون الحسنات**) ، و (**الملائكة التي تحفظ العبد وهو نائم إلى أن يصبح**) ، و (**الملائكة التي تدعو له وهم حملة العرش**) ؛ قال – تعالى – : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر:٧] .

فملائكةٌ تدعو لك إذا تُبْتَ واتبعْتَ سبيلَ المؤمنين ، و**ملائكةٌ تحفظُك** ، وهي : (**المعَقِّبَاتُ**) ؛ كما سبَقَ ؛ قال – تعالى – : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الرعد:١١] ؛ أي : بأمرِ الله ؛ حتى لا يؤذيك شيء ؛ فتشكر الله على هذه النعم أنه جعل لك ملائكة تحفظك من الشياطين ، ومن الحوادث ، ومن المصائب.

وأنت تنام تذهب روحُكَ عند الله ؛ فليس لك حوْلٌ ، ولا قُوَّةٌ ؛ فالشياطين يُمْكِنُ أن تَمَسَّكَ ، ولذلك ؛ فالشَّخْصُ الذي يَذْهَبُ ليضطجع بغير أذكار النوم ، ومن غير وضوء ، تراه يقول بأنه رأى أحلامًا مزعجةً ، وظلَّ في عذابٍ ، وهو نائمٌ ؛ لأنه لم يُفَوِّض أمْرَهُ إلى الله ؛ فوكَلَها إلى نفسِهِ ؛ فجاءته الشياطين ؛ لذلك شرعَ الله سبحانه وتعالى لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن نقرأ آية الكرسي إذا أوينا إلى الفراش ؛ كما جاء في حديث أبي هريرة قال : " **وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم **بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَكَرَ الحَدِيثَ –** ، **فَقَالَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ**

حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ " [1] .

● **وقولُهُ : " صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ "** ؛ أي : صدق في أن آية الكرسي تحفَظُك من الشيطانِ ؛ حتى تصبحَ ؛ رَغْمَ أنه كذوبٌ ؛ لأنه شيطان ؛ فالإنسان يمكن أن يأخذ (أَشْيَاءَ) من شخصٍ كذوبٍ – إذا تبين له أنها حق – ؛ فإذا قرأ الإنسان آيةَ الكرسيّ قبل النوم ؛ فلن تأتِيَ له هذه الأحلام المزعجة ، وكذلك الأولاد الصغار الذين يستيقظون مفزوعين ؛ فنُعَلِّمُهُم أن يقرؤوا آية الكرسي قبل النوم ؛ فلا يزال عليهم من الله حافظٌ حتى يُصْبِحُوا ؛ فلا يُصْبِحُون خائِفِيْنَ مَرْعُوبِيْنَ ؛ لأنَّ كلَّ ذلك ؛ سببُهُ : قلَّةُ الذكر ، والبعد عن الله ؛ فنحمد الله الذي وكَّل لنا ملائكةً تحفَظُنا عند النوم ، وفي الطرقاتِ ، وتَكْتُبُ لنا الحسناتِ ، ووكَّل مَلَكَ السيئات ينتظر ؛ لعلَّ العبد يستغفر ويَعُودُ ؛ فلا يكتب السيئة مباشرة [2] ؛ فكلُّ هذه نِعم من الله تحتاج إلى شكر.

● **الثالثة : محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى :**

وقد أنكر قومٌ من الزائغين كون الملائكة أجسامًا ، وقالوا : إنهم عبارةٌ عن قُوَى الخيرِ الكامِنَةِ في المخلوقات ، وهذا تكذيبٌ لكتابِ الله تعالى ، وسنَّةِ رسوله ﷺ ، وإجماع المسلمين .

---

(1) أخرجه البخاريُّ (٣٢٧٥) – تعليقًا – .

(2) أخرجه الطبرانيُّ في " الكبير" (٧٧٦٥) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوِ الْمُسِيءِ ؛ فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا ، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً » ، وهو في " الصَّحِيْحَةِ " (١٢٠٩) .

فالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم خُلِقُوا من نورٍ ، وخُلِقَ الجان من مارجٍ من نارٍ ([1]) ، والله تَكَلَّم في آياتٍ كثيرةٍ (جدًّا) عن الملائكة ، ثم يأتي بعد ذلك من يقول : إنهم ليسوا أجسامًا ، ولكنَّهُم قُوَى !! فهذا ضلالٌ مبينٌ من أعمالهم ، وفساد اعتقادهم.

فنؤمِنُ بالملائِكَةِ ؛ كما جاءت في الكتابِ والسنَّةِ ، وأنهم مخْلُوقُون من نورٍ ، ولهم صفاتٌ ، ولهم أعمالٌ ووظائفُ ، ولهم أجْسَامٌ ، ولهم قدرةٌ على التَّشَكُّل ، ولهم أجنحةٌ ؛ كما جاء في القرآن :

- فَقَالَ - تعالَى - : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ [فاطر:١] .
- وقَالَ - تعالَى - : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ** ﴾ [الأنفال:٥٠].
- وقَالَ - تعالَى - : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [الأنعام: ٩٣] ، ونحن استَشْهَدْنا بهذه الآيةِ عَلَى عَذَابِ القَبْرِ .
- وقَالَ - تعالَى - : ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والآيات كثيرة (جِدًّا) في ذكر الملائكة ؛ فيجب أن نُقِرَّ بأنَّ الله قد أمرها بها ، ووكَّلها بذلك ؛ فكلُّ هذه الأشياء مما تزيدُ الإيْمانَ ﴿ **وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾ [فاطر : ٣٩] .

---

[1] أخرجه مسلمٌ في " الصَّحيحِ " (٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » .